Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هنا، كانت اللغة نظاماً.

ولكن القول إن اللغة حضور يعني أنها ليست وجوداً بعد عدم. وهي إذا كانت كذلك أيضاً، فيمكن القول إنها حضور يتراوح بين نظامين: نظام هي به تكون. ونظام هو بها يكون. أمّا الذي هي به تكون، فإنه جملة قوانينها وقواعدها مجردة. وهذا النظام يجعل منها وجوداً قائماً بذاته ومستقلاً عن غيره. وإنه لقائم في الإنسان إمكاناً وقدرة، ويمثّل «واقعاً غير شعوري» على حدّ تعبير بنفينيست[22]. وإذا استثنينا الدرس اللّساني له، فإننا حين نمارسه لا نملك عنه في دائرة وعينا غير إدراك ضئيل، يكاد لا يذكر. وأمّا الذي هو بها يكون، فإنه الكلامُ، حاملُ المعنى والمعبّر عنه. وهذا الوجود لن يقع في دائرة وعينا إلاّ بعد أن ينتقل من الكينونة قدرةً وقوانينَ وقواعدَ مجرّدةً إلى الكائن أداءً وإنجازاً وتحقيقاً، أي عندما يتجسّد شكلاً ويتضمّن مضموناً، فيكون صوتاً، فتركيباً، فدلالة.

والفكر على هذين النظامين يدور: فهو على المستوى الأول من النظام، يتّصل باللغة اتّصالاً وثيقاً. فالأسماء، والمصادر، والصفات، والأفعال، والأدوات، وغيرُ ذلك، إنما هي فئات من خواصّ اللغة. والفكر يتوزّع عليها نظاماً وألفاظاً ليمتلك بها قابلية تحقّقه وجوداً. وهو إذ يكون له هذا، ينفتح على العالم، فيدركه، لا من خواص أشيائه في الواقع مادّةً، ولكن من خلال خواص اللغة التي يصير بها إلى وجوده شكلاً مقولاً.

والفكر إذ يصير نظاماً لغوياً، به يُدْرِكُ العالم وبه يصنّفه، فإنه ينجز ذاته مضموناً. وإذ ذاك، فإن حاجته في إتمام وجوده ظهوراً وجلاء لتميل به إلى تحقيق مضمونه في النظام كلاماً، فخطاباً، أي يذهب إلى التشكّل صياغة لفظية، وإلى الإبانة نسيجاً من الأصوات